خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٥/٨/٢٢

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

لا يزال الحديث جاريا عن سيرة النبي ﷺ على ضوء الحروب أو الغزوات، وسوف أتناول اليوم غزوة حُنين. وقعت هذه الغزوة في شوال من العام الثامن الهجري. وتسمى غزوة حنين لأنها وقعت في مكان يسمى حُنَينا، وهي قرية تقع على بُعد حوالي ٢٦ كيلومترًا من مكة ما بين مكة والطائف. وكانت هوازن أكبر القبائل التي شاركت في هذه الغزوة، ولذلك تُسمَّى أيضًا "غزوة هوازن". والبعض سماها "غزوة أوطاس"، لأن جزءًا من فلول العدو فرَّ من حنين إلى وادي أوطاس، حيث لحق بهم المسلمون وهزموهم هناك، فأطلق بعض المؤرخين هذا الاسم عليها. غير أن أغلب الكتّاب ذكروا هذه المعركة كحدث منفصل عن غزوة حنين باسم "سرية أوطاس".

وقد ورد ذكر غزوة حنين في القرآن الكريم كما يلي:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة ٢٥-٢٧)

كان سبب هذه الغزوة أنه عندما فُتحت مكة كانت كبار قبائل العرب قد أسلمت أو دخلت في طاعة رسول الله – ﷺ، ولكن بني هوازن وبني ثَقيف، وكانت قبائل متمردة ومولعة بالقتال، رفضت الطاعة، وليس هذا فقط بل اجتمع زعماؤها وقالوا إن محمدا ( ﷺ) قد أخضع مكة ومعظم القبائل العربية وسوف يزحف إلينا حتما، فالأفضل أن نسير إليه لغزوه قبل أن يغزونا. لقد ظنوا هكذا من عند أنفسهم، وقالوا أيضا إن محمدا ( ﷺ) لاقى قوما لا يحسنون القتال، ولم يقاتلنا بعدُ.

فاجتمع إلى هوازن ثقيفٌ كلُّها ونَصْرٌ وجُشمٌ كلُها، وسعدُ بن بكر، وناسٌ من بني هلال، وهم

قليل. وتشير بعض الروايات إلى أن بني هوازن كانت قد بدأت تُعِدّ عُدّتها لقتال المسلمين منذ وقت مبكر جدًا، لأنهم لما رأوا أن محمدًا ﷺ بدأ يُخضع لسلطانه بالتدريج القبائل الأخرى، بمن فيها اليهود خافوا أن تُمحى عبادة الأوثان وأن يتغلب محمد ﷺ وأصحابه على الجميع، فارتأوا ضرورة عرقلة زحفه، وبدأوا يُعدّون عدّتهم لقتاله ﷺ. وقد أرسلوا وفدًا بقيادة عروة بن مسعود إلى مدينة جرش في الأردن لجلب الأسلحة والمعدات الحربية.وقد علم النبي ﷺ باستعدادت بني هوازن هذه بواسطة طليعة من الجيش أرسلها أمامه حين أراد المسير من المدينة إلى مكة لفتحها. هذه الطليعة ألقت القبض على رجل من هوازن كان جاسوسًا لهم وكان يتنقل هناك لمراقبة تحركات المسلمين.

وعندما استجوبه النبي ﷺ أخبره أن بني هوازن قد جمعوا جيشًا كبيرًا، وقد تمكنوا من ضم بني ثقيف إليهم، كما أرسلوا وفدًا إلى جرش لجلب الأسلحة الكثيرة. وبينما بنو هوازن في استعداداتها هذه فُتحت مكة دون مقاومة تُذكر، فقرر هؤلاء المغرورون بقوتهم الخروج بأنفسهم لمواجهة النبي محمد ﷺ وأصحابه، وهم يظنون أنهم القادرون على إلحاق الهزيمة بالمسلمين واستئصالهم.

اختارت هذه القبائل المحتشدة كلُّها مالكَ بنَ عوف، زعيمَ هوازن، الشابَّ البالغَ من العمر ثلاثين عامًا، ليكون رئيسا وقائدًا لهم. فتجهز جيشٌ قوامه عشرون ألف مقاتل وسار نحو حنين. واتخذ مالك بن عوف، زعيمُ هوازن، خطوةً ربما كانت غير مسبوقة في تاريخ العرب في حروبهم، إذ أمر كل فرد من كل قبيلة بألا يخرج للقتال بمفرده، بل يصطحب معه زوجته وأبناءه وماله ومواشيه. وكان هدفه من ذلك أن يقاتل كل جندي في الجيش باستماتة، مدركًا أن لا سبيل له للفرار، لأن عائلته وممتلكاته معه في ساحة المعركة.

ونجد في هذه المعركة ذِكْرَ زعيمٍ عجوز سعى لمنع القتال، اسمه دُريدُ بنُ الصِّمَّة، وكان مِن بني جُشم، وكان قد خرج مع هوازن، وكان عمره أكثر من مئة عام. كان شيخًا كبيرًا فقد بصره، ولم يعد قادرا على القتال، إلا أنه كان صاحب خبرة واسعة بالقتال ومعرفة عميقة بالحروب، ومعروفًا بشجاعته وفروسيته فيما مضى. لقد أخذوه معهم للاستفادة من خبرته ومهارته القتالية.

عندما أجمع مالك بن عوف والقوم على المسير إلى النبي ﷺ لمواجهته، خرجوا مصطحبين أموالهم ونساءهم وأبناءهم حتى إذا وصلوا إلى وادي أوطاس نصبوا خيامهم فيه. فنزل دُريد بن الصِمّة من راحلته، ولمس الأرض بيده، وسأل القوم: "في أي وادٍ أنتم؟" قالوا: "في وادي أوطاس". قال: "هذه أرض جيدة لجولان الخيل ولا حرج بها، إنها أرض صلبة وليست رِخوةً بحيث تغوص فيها حوافر الخيل"، ولكن لماذا أسمع أصوات بكاء الأطفال، ورُغاء الإبل، ونَهيق الحمير، وثُغاء الغنم، وخوار البقر؟" قالوا: لقد أحضرنا معنا الأطفال والنساء والمواشي بأمرٍ من مالك بن عوف. فقال دريد لمالك: "إنك سيد قومك، وسيكون لهذا اليوم أثره على الأيام القادمة، فلماذا أحضرتَ الأطفال والإبل والحمير والغنم

والبقر؟" قال مالك: "أردتُ أن أجعل خلْف كل رجل أهلَه وماله ليقاتل العدوَّ ببسالة واستماتة". قال دريد: "هذا رأي خاطئ تماما! والله إنك لا تعرف إلا رعْيَ الغنم، (أي لا علم لك بالحرب والقتال) إذا هُزمتَ، فهل يمكن لمنهزم أن يستعيد شيئًا؟ اعلم أنه لا ينفعك في الحرب إلا رمحك وسيفك، وإذا انقلب الأمر عليك في القتال ستخسر أهلك ومالك. يا مالك، لمَ لم تدفع فرسان هوازن وخيولها إلى الأمام؟ أرسل النساء والأطفال والأموال إلى حصون القوم، ثم قاتِل بفرسانك وسيكون مُشاتك بين الخيول. إذا انتصرت، فسيلحقون بك أي الأولاد والأنعام والأموال، وإذا هُزمت، فستعود إليهم وبذلك سيسلم أهلُك وأنعامك. فقال مالك بن عوف: "والله لن أفعل ذلك ولن أغير قراري. لقد كبرتَ وفقدت عقلك". فقال دريد: "يا معشر هوازن، والله هذا الرأي غير صائب. هذا الرجل سيهين نساءكم، وسيسلِّمكم للعدو ثم يفر إلى حصون ثقيف ليختبئ. فارجعوا واتركوه!" وهكذا نصح بالامتناع عن القتال. فأخرج مالك سيفه وقال: "يا هوازن، والله لتطيعنني، وإلا سأضع حملي على هذا السيف وأطعن نفسي" أي سأنتحر. فتشاور بنو هوازن وقالوا: "والله إن عصينا مالكًا، فسيقتل نفسه وهو شاب عمره حوالي ٣٠ عامًا، وسنبقى مع دريد، وهو شيخ كبير لا يمكننا القتال معه. فوافقوا مالكًا"، وهذا ما تقرر. ثم سأل مالك دريدًا: "هل لديك رأي آخر؟" فأجاب دريد: نعم، أخفِ رجالك في الكمائن فسوف يساعدونك، فإن هاجمك العدو، فسيهاجمونهم من الخلف، وستتمكن من الكرة مع رجالك. وإن هاجمتَ أنت، فلن يتراجع أحد منهم. فقال مالك لأصحابه: اختبئوا في الشعاب والوديان، وبادروا بشنّ الهجوم المفاجئ لتهزموا جيش المسلمين.

كان النبي ﷺ قد تلقى الخبر بأن بني هوازن يستعدون للهجوم، وتفصيل ذلك، كما ذُكر شيء منه سابقاً، أن رسول الله ﷺ لما علم بهذه الأحداث في مكة، أرسل عبدَ الله بن أبي حَدْرَد الأسلمي لاستطلاع أحوال جيش قبائل هوازن. فكان الجاسوس قد أخبره ﷺ سلفا أنهم يجمعون السلاح. ولما اكتمل استعدادهم بعث النبي ﷺ أحد رجاله وهو عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ليأتي بالأخبار. فدخل هذا الرجل في جيش هوازن وتنقَّل بينهم وجمع كل أنواع المعلومات. ومكث فيهم يوماً أو يومين حتى سمع مالكاً يقول لأصحابه لتشجيعهم: إن محمداً (ﷺ) لم يحارب من قبل قوماً يعرفون مهارات الحرب، وإنما قاتَل شباناً من أقوام لا يعرفون القتال فغلبهم. فإذا أصبحتم فاجعلوا صفوف مواشيكم ونسائكم خلفكم، ثم شنوا الهجوم الواحد واكسروا أغماد سيوفكم وقاتِلوا بعشرين ألف سيف مسلول، واهجموا كهجمة رجل واحد، واعلموا أن الغلبة ستكون لمن يبادر الهجوم.

ثم عاد عبد الله بن أبي حدرد إلى رسول الله ﷺ وأخبره بكل شيء. فاضطر ﷺ للاستعداد للمواجهة.

لما أراد النبي ﷺ الخروج من مكة لمواجهة بني هوازن واستعرض الجيش الإسلامي للحرب المتوقعة، وجد أنه يفتقر إلى عتاد الحرب. فلسد هذا النقص، طلب النبي ﷺ من صفوان بن أمية – وهو من أثرياء مكة

وكان ما زال مشركاً في ذلك الوقت – بعض الأسلحة استعارة. فقال له: "أتريد أن تحصل على متاعي استعارة أم غصباً؟" فقال النبي ﷺ: "كلا، بل نحن نستعيرها مؤقتا ونقدم لك الضمان بأننا سنردها." فوافق على إعطائها وسلَّم مائة درع مع خوذات ومجنات وغيرها. وحسب بعض الروايات، أعطى معها إبلاً لنقل هذه الأسلحة. وحين جُمعت دروع صفوان بعد الحرب لتُردَّ إليه، وُجدت ناقصة.

ولما كان النبي ﷺ قد أعطى الضمان بردها، فقد تحدث ﷺ مع صفوان ليأخذ ثمنها، لكن صفوان لم يعد هو صفوان الذي كان عند إعطاء الدروع. فقد كان قد حضر غزوة حنين أي شارك في القتال وإن كان ما زال مشركاً في ذلك الوقت، لكنه أسلم بعد حنين. لذا حين قال له رسول الله ﷺ أن يأخذ ثمن الدروع، قال: "لا يا رسول الله، لأن في قلبي اليوم ما لم يكن يومئذ"، ورفض استلام الثمن.

وكذلك استعار النبي ﷺ من ابن عمه نوفل بن الحارث ثلاثة آلاف رمح وقال: "إني أرى هذه الرماح تنغرز في ظهور العدو." وكان في قوله ﷺ هذا إخبار بأن العدو سينهزم ويفر ويتكبد خسائر فادحة في الأرواح. وكذلك استعار ﷺ بعض الأسلحة من ابن أبي ربيعة.

ومما يستحق التأمل في أخلاق النبي الأكرم ﷺ الفاضلة أنه ﷺ كان قد فتح مكة، وكان أهل مكة شعبا مفتوحا، وحسب العرف والعادات في الحرب يصبح الفاتح مالكاً لأموال الشعب المفتوح، لكنه ﷺ حين احتاج إلى الأسلحة للحرب، استعار كل سلاح بالوعد بأنه سيرد كل ما أخذ من الأسلحة.

وكذلك اقترض النبي ﷺ من عبد الله بن أبي ربيعة، الأخ غير الشقيق لأبي جهل، ثلاثين أو أربعين ألف درهم. وفي رواية أنه أسلم يوم فتح مكة.

وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ اقترض من ثلاثة أشخاص من قريش: فمن صفوان بن أمية خمسين ألف درهم، ومن عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم، ومن حويطب بن عبد العُزى أربعين ألف درهم، وهذا يبلغ مجموعه مائة وثلاثين ألف درهم.

وقد ورد في بعض الروايات أن النبي ﷺ استدان هذه المبالغ النقدية يوم فتح مكة لمساعدة الصحابة المحتاجين، فقسمها بينهم، وأُعطي كل شخص ما يقارب خمسين درهماً. وفي رواية أن هذا المبلغ اقترضه ﷺ لدفع دية قتلى بني جذيمة وغير ذلك من التعويضات. ومن المحتمل أن يكون النبي ﷺ قد اقترض هذا المبلغ لتلبية احتياجات مختلفة، بما في ذلك المساعدة المالية للصحابة ودفع الديات. والله أعلم بالصواب. وسأذكر بقية تفاصيل هذه الغزوة لاحقًا إن شاء الله تعالى.

بعد صلاة الجمعة، سأصلي صلاة الغائب على شخصين. أحدهما السيد الخواجة مختار أحمد بت ابن الخواجة عبد الرحمن من سيالكوت، وقد توفي في الأيام الماضية عن عمر يناهز اثنين وتسعين عامًا، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وُلد السيد الخواجة في سيالكوت، ودرس القانون، ثم التحق بالقوات الجوية وتلقى تدريبًا في ريسالبور، وخدم بشكل بارز في القوات الجوية الباكستانية كضابط قانوني حتى عام ١٩٧٤ الذي تم فيه فصله من الخدمة مع ضباط أحمديين آخرين. خدم تحت إشراف حضرة الخليفة الثالث للمسيح رحمه الله تعالى في اللجنة القانونية للجماعة، خلال الفترة الحرجة من الاضطرابات والإثارة ضد الجماعة الأحمدية في عام ١٩٧٤، والتقى أيضًا بوزير إقليم البنجاب حنيف رامي في إطار جهود الجماعة لتوضيح موقفها.

كان له علاقة وثيقة مع حضرة ميرزا بشير أحمد وحضرة شودري ظفر الله خان رضي الله عنهما، وساعد حضرةَ شودري ظفر الله خان في إعداد الجزء الأول من كتاب جوهر الإسلام (Essence of Islam). وعلى المستوى المركزي للجماعة خدم كمدير لمؤسسة فضل عمر، وكذلك كقاضٍ في دار القضاء بربوة لعدة سنوات. عملتُ معه لبعض الوقت في دار القضاء –وكان رجلًا ذا رأي سديد وإنسانًا متواضعًا جدًا، كان ارتباطه بالخلافة قويًا دائمًا– وفيما بعد أصبحت تربطني به علاقة وثيقة. في عام ٢٠٠٢، انتقل إلى كندا حيث خدم كأمير إقليمي، كان ملتزمًا بالصلوات وتلاوة القرآن الكريم، وسباقًا في المساهمة في التضحية المالية، وكان أحمديًا مخلصًا ووفيًّا. كانت حياته نموذجًا راقيًا للوفاء بالخلافة، والتواضع، والإخلاص.

ترك المتوفى وراءه زوجته وابنة وابنَين، بالإضافة إلى أحفاد. زوجته، السيدة أمة القيوم، هي بنت المرحوم غلام أحمد أختر الذي كان يعمل في السكك الحديدية، وشغل منصب المدير وكان ذلك المنصب عاليًا. وبعد تقاعده في عهد حضرة الخليفة الثاني للمسيح ﷺ، شغل منصب الناظر الأعلى لفترة من الزمن. كما كان يؤدي واجبات الحراسة على المنصة مع حضرة الخليفة الثاني للمسيح ﷺ خلال خطبه. كانت هذه العائلة متفانية في الخدمة.

كان الخواجة مختار أحمد صهر الدكتور زاهد خان، رئيس مجلس القضاء في المملكة المتحدة.

كتبت ابنته، عائشة خان: وجدته دائمًا مطيعًا للخلافة. لقد ربى أولاده الثلاثة على هذا النهج، وقال لهم إن طاعة الجماعة والخلافة يجب أن تكون الهدف الوحيد في حياتهم. لم يفقد صبره وتوكله التام على الله تعالى حتى عندما انتهت وظيفته في القوات الجوية فجأة في عام ١٩٧٤، كذلك عندما لم يحرز نجاحًا في ممارسة المحاماة التي بدأ بها لاحقًا بشكل خاص. لم يمد يده أبدًا لأي إنسان، بل كان يعرض حاجاته على الله تعالى فقط.

تقول: منذ أن أدركت، وجدته متعبدًا ومشاركًا في جميع الأعمال الصالحة. كان يدفع التبرعات دائمًا في بداية الشهر، وإذا توفرت لديه الأموال، كان يدفعها مقدمًا. كان متميزًا جدًا في علاقته بالجماعة. وكان ارتباطه بالخلافة استثنائيًا كما ذكرت، كما كان شديد الالتزام بنظام الجماعة، وكذلك إخوته

الآخرون، الذين يرتبطون بالخلافة وبنظام الجماعة ارتباطًا صادقًا جدًا، وهو ما يرجع إلى تربية والدهم الذي كان على هذه الشاكلة. وعليه فإن هذه العائلة بأكملها، بفضل الله، تتميز بالوفاء الشديد بالخلافة. وإن زوجته هي ابنة المرحوم غلام أحمد أختر كما قلت، وهي أيضًا من عائلة متفانية في الخدمة. وبفضل تربية الزوجين، نشأ أولادهما على الإخلاص للجماعة وتفانيهم في خدمتها. نسأل الله تعالى أن يوفق أولاده لمواصلة أعماله الصالحة، وأن يغفر للمتوفى ويرحمه.

الجنازة الثانية هي للسيدة سعيدة بيغم، زوجة السيد نذير أحمد من الهند. توفيت في الأيام الماضية عن عمر يناهز خمسة وسبعين عامًا، إنا لله وإنا إليه راجعون. كانتبفضل الله تعالى منضمة إلى نظام الوصية. تركت وراءها زوجها وثلاث بنات وأربعة أبناء. كانت هي والدة السيد طاهر أحمد طارق، نائب ناظر الإصلاح والإرشاد في قاديان. وكان السيد طاهر أحمد موجودًا في جلسة بريطانيا كممثل للجماعة لما توفيت والدته، فلم يتمكن من حضور جنازتها.

هذه العائلة أيضًا متفانية في الخدمة، إذ إن الابن الأصغر للمرحومة، شبير أحمد، شقيق طاهر أحمد، معلمٌ في الجماعة، وكذلك ابنتها متزوجة من الداعية الأحمدي السيد جبار. أما الابنان الآخران فهما أيضًا يخدمان الجماعة. إنها عائلة متفانية جدًّا في الخدمة. نسأل الله تعالى أن يغفر لها ويرحمها.

كتب السيد طاهر أحمد طارق أن والدته كانت تعاني من ضيق في التنفس منذ خمسة وعشرين عامًا، وقد تحملت فترة مرضها بصبر وسكينة كبيرين دون أي شكوى أو تذمر. كانت تنتمي إلى قرية "چار كوت راجوري" في جامو وكشمير. دخلت الأحمدية عائلتها من خلال حضرة قاضي محمد أكبر بهتي، صحابي حضرة المسيح الموعود عليه السلام، ثم انتشرت الأحمدية في عائلتها. كانت متدينة جدًا، وملتزمة بالصلاة والصيام. رغم أنها كانت قليلة التعليم، إلا أنها كانت تقرأ لنا في طفولتنا، عند حلول المساء، الأدعية القرآنية، قصائد المسيح الموعود عليه السلام، والأحاديث، وقصص الأنبياء. كانت تتميز برقة ونعومة في طبعها، وكانت اجتماعية وتعامل جميع أقاربها وأحبائها بمحبة ورحمة. كانت تحب الخلافة ونظام الجماعة حبًّا كبيرًا، وقد نذرت حياتنا لخدمة الجماعة بكل شوق ومحبة، وكانت دائمًا تحثنا على الالتزام بمقتضيات الوقف. كما كانت تحرص على إرسالنا يوميًا لتلقي تعليم القرآن الكريم، وركّزت أيضًا على تعليمنا الدنيوي فجعلت جميع أولادها يحرزون ثقافة عالية في التعليم الدنيوي. نسأل الله تعالى أن يغفر لها ويرحمها. آمين

****